

كلية الآداب والفنون / قسم اللغة العربية وآدابها

محاضرات مادة الخطاب الموازي-جامعة وهران 1

ماستر سنة أولى /تخصص أدب جزائري / أ.د. ف. الغزوني

الدرس الأول : المتعاليات النصية

المتعاليات النصية :

أصبح موضوع الشعرية هو المقولات العامة للأجناس الأدبية، أو المقولات المتعالية في أنماط الخطابات والأجناس الأدبية، وأنواع التلغظات. و يقصد بالمتعاليات النصية (transtextualité) كل ما يجعل نصا يتعلق مع نصوص أخرى، بطريقة مباشرة أو ضمنية . وهكذا، يتجاوز التعالي النصي المعمارية النصية. ومن ثم، فهناك خمسة أنماط من التعاليات النصية التي حددها جيرار جنيت، وهي:

1- التناص: Intertextualité ويقصد به تلاقح النصوص فيما بينها، وذلك عبر مجموعة من القوانين الواعية والضمنية، والتي يمكن حصرها في الاجترار، والامتصاص، والاستدعاء، والخلفية المعرفية، والحوار، والتفاعل. ومن الذين نظروا للتناص، نذكر: ميخائيل باختين M.Bakhtine ، وجوليا كريستيفا Julia krestiva، ورولان بارت... Roland Barthes

2- النص الموازي: (Paratexte) وهو عبارة عن عناوين، وعناوين فرعية، و مقدمات، و ذيول، و صور، وكلمات الناشر...

3- الميتاتنص: (Metatexte) وهو علاقة التعليق الذي يربط نصا بآخر، يتحدث عنه دون أن يذكره أحيانا.

4- النص اللاحق: عبارة عن علاقات تحويل و محاكاة تتحكم في نص ما باعتباره لاحق (hypertexte) بالنص آخر باعتباره نص سابق. (hypotexte)

5- معمارية النص (Architexte): تتحدد في الأنواع الفنية و الأجناس الأدبية: شعر-رواية- بحث... إلخ. وذلك استنادا إلى الخصائص الشكلية للأنواع الأدبية.

تدرس الشعرية حسب جيرار جنيت (Genette) التعالى النصي (أو المتعاليات النصية (Transtextualité). ومفهوم التعالى النصي حسب جيرار جنيت: " كل الذي يجعله ، في علاقة ظاهرة أو خفية، مع باقي النصوص. فالتعالى النصي يتجاوز ،إذاً، ويضم المعمارية النصية (L'architextualité))، وبعض الأنماط الأخرى من العلاقات النصية المتعالية".

ويعتبر النص الموازي من أكثر المفاهيم شيوعا و ذيوعا ، حيث خصصت له مجلة (بويطيقا Poétique) عددا خاصا، وكتب جيرار جنيت عنه كتابا أسماه (عتبات (Seuils).

الدرس الثاني : مفهوم النص الموازي :

أولت الأبحاث والدراسات الغربية ولاسيما في مجال السرديات اهتماماً بالغاً بدراسة النص الموازي **Le Paratexte** ، أو ما أسماه الناقد الفرنسي جيرار جينيت بالعتبات، أو بهوامش النص كما عند هنري ميتران، أو بالعنوان كما عند شارل كريفل.

ويعد النص الموازي من المفاهيم النقدية التي اشتغلت عليها الشعرية الغربية وما بعد البنيوية والسيمياء النصية، ويتكون النص الموازي في اللغة الفرنسية من جزأين **para** و **texte**، يتعلق الجزء الأول بالأصل اليوناني ويقصد به : المشابهة والمماثلة والمساواة والملاءمة والموازاة ، أما الجزء الثاني فنعني به النص. والربط بين الجزأين يدل على كل ما يوازي ويمثل النص بكيفية من الكيفيات .

إن الاهتمام بالنص الموازي في النقد الغربي لم يظهر إلا مع "توسع مفهوم النص. ولم يتوسع مفهوم النص إلا بعد أن تم الوعي والتقدم في التعرف على مختلف جزئياته وتفصيله" شعيب حليفي: النص الموازي للرواية إستراتيجية العنوان ، مجلة الكرمل، قبرص، العدد 46، السنة: 1992م، ص:84. والنص الموازي في النقد الغربي هو كل ما يحيط بالنص الأصل أو المتن، ابتداء من اسم الكاتب، والعنوان الرئيسي، والعناوين الفرعية، والمقدمة، والتمهيد، والخاتمة...

وإذا كان الغربيون قد اهتموا ببعض النصوص الموازية، فإن جيرار جينيت هو من ذاع صيته في هذا المجال على الأقل عربياً. لذلك سنقتصر على ما جاء عند هذا الناقد من أطروحات نظرية خاصة بالخطاب الموازي.

اتجه النقد الحدائثي إلى مساءلة جملة من النصوص المقتضبة التي يمكن أن تعضد نصية المتن، وتشد من أزر دلالاته ومقتضياته، فكان ذلك سبباً لبروز اشتغال نقدي جديد عني بخطاب العتبات، وهو ما عرف في الاصطلاح الفرنسي بـ"Paratexte" ، وكان أكثر من تناوله بتحليلاته واجتهاداته هو الناقد الفرنسي **Gérard Genette** من خلال

أعماله ومؤلفاته لاسيما كتاباه (Seuils) أو عتبات، و(Palimpsestes) أو طروس ، بحيث يدرجه كما يظهر من كتابه الثاني في المرتبة الثانية ضمن ما أسماه بالمتعاليات النصية في إطار مراجعته لمقولة الشعرية.

عرف المنظر الفرنسي جيرار جنيت النص الموازي في كتابه طروس (Palimpsestes) " ، بأنه (عبارة عن ملحقات نصية وعتبات نطؤها قبل ولوج أي فضاء داخلي، كالعتبة بالنسبة إلى الباب) ، Genette (Gérard): Seuils, Paris, .Seuil,Collection Poétique, 1987.

ويندرج ضمنه : " الملحقات النصية Les Paratextes ، كالعنوان، والعنوان الفردي، والعناوين الداخلية، والمقدمات، والملحقات، والتنبيهات، والتمهيد، والهوامش في أسفل الصفحة أو في النهاية، والمقتبسات والتزيينات، والرسوم، وعبارات الإهداء والتنويه والشكر، والشريط ، وأنواع أخرى من العلامات الثانوية والإشارات الكتابية أو غيرها مما توفر للنص وسطا متنوعا. وقد يكون في بعض الأحيان شرحا أو تعليقا رسميا أو شبه رسمي. Genette (G): Palimpseste, p9 .

وفي كتابه عتبات (seuils)، يضيف جنيت أن النص الموازي هو الذي " يجعل النص كتابا ليقدّم إلى القراء بصفة خاصة، والجمهور بصفة عامة : Genette (G)7 "، .Seuils,

يرى جنيت أن النص الموازي "هو ما يجعل من النص كتابا يقترح نفسه على قرائه أو بصفة عامة على الجمهور، فهو أكثر من جدار نو حدود متماسكة، نقصد به هنا تلك العتبة، بتعبير (بورخيس) البهو الذي يسمح لكل منا دخوله أو الرجوع منه". عبد الحق بلعايد، عتبات، ص 44.

وعليه، فالنص الموازي عبارة عن نصوص مجاورة ترافق النص في شكل عتبات وملحقات قد تكون داخلية أو خارجية. ولها عدة وظائف دلالية، وجمالية، وتداولية.

ولا يمكن أن يكون النص الموازي كلياً، فهو بنية نصية جزئية يتم توظيفها داخل النص بغض النظر عن سياقاتها الأصلية. ويشمل هذا النص عتبات وملحقات تساعدنا على فهم خصوصية النص الأدبي، وتحديد مقاصده الدلالية والتداولية ودراسة العلاقة الموجودة بينها وبين العمل. وهي محفل نصي قادر على إنتاج المعنى وتشكيل الدلالة من خلال عملية التفاعل النصي. لذا فللعنابات " الدور التواصلي الهام الذي تلعبه في توجيه القراءة، ورسم خطوطها الكبرى، لدرجة يمكن معها اعتبار كل قراءة للرواية بدونها بمثابة دراسة اختزالية من شأنها إلحاق ضرر كبير بالنص، وتشويه أبعاده ومراميه.

يقول جنيت : (ويرتبط النص بهذا المعنى بما أسميه نصه الموازي ويمثله العنوان، العنوان الفرعي، العنوان الداخلي، الديباجات، التذييلات، التنبيهات، التصدير، الحواشي الجانبية، الحواشي السفلية، الهوامش المذيلة للعمل، العبارة التوجيهية، الزخرفة، الأشرطة "تزيين يتخذ شكل حزام" الرسوم، نوع الغلاف، وأنواع أخرى من إشارات الملاحق، والمخطوطات الذاتية والغيرية التي تزود النص بحواش مختلفة، وأحياناً بشرح رسمي وغير رسمي) فهو : "عبارة عن مجموعة من العتبات المحيطة داخلياً وخارجياً تساهم في إضاءة النص وتوضيحه ... وعلى الرغم من موقعها الهامشي فإنها تقوم بدور كبير في مقارنة النص ووصفه سواء من الداخل أم من الخارج". نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة المعاصرة، دار توبقال للنشر، المغرب، 1997، ص.26.

وعلى هذا فإن النص الموازي ليس النص الروائي الإبداعي نفسه، وإنما كل ما يجاوره من كلمات ومفردات وصور، إذ هو خطاب مفكر فيه من قبل المبدع، وهو الأمر الذي يواجهه المتلقي قبل ولوجه العمل الروائي إذ يرسم لديه انطباعاً أولياً قد يثير أسئلة مسبقة تجيب عنها الرواية بعد القراءة.

أما مصطلح العتبات فهو من العتبة . والعتبة هي بداية دخول المنزل ، من خلالها نلج لمكان معين. وقد جاء في مقاييس ابن فارس أنها سميت عتبة "لارتفاعها عن المكان المطمئن السهل" ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دون طبعة، 1979م، ج4، ص 255 .

للنصوص الموازية أو العتبات دور مهم في قراءة المتن، هذه القراءة التي "تصير مشروطة بقراءة هذه النصوص، فكما أننا لا نلج فناء الدار قبل المرور بعتباتها، فكذلك لا يمكننا الدخول عالم المتن قبل المرور بعتباته". عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص: دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، ط1، 2000، ص23.

وظائف النص الموازي : - وظيفة جمالية تتمثل في تزيين الكتاب وتنميته، - ووظيفة تداولية تكمن في استقطاب القارئ واستغوائه.

أقسام النص الموازي:- ويقسم جنيت النص الموازي إلى قسمين هما النص الموازي النثري (مناص الناشر) ويعرف أيضا بالنص المصاحب ، والنص الموازي المحيط

1- النص الموازي الداخلي: ويقصد به تلك الملحقات النصية والعتبات المتصلة بالنص مباشرة ويشكل كل ماورد مصاحبا للكتاب. أي هو كل الإنتاجات المناسية التي تكون من مسؤولية الناشر على الأغلب. النص المصاحب : Péri texte مقسم إلى: péri في الأصل اليوناني معنى حول أو المصاحب أو المجاور"، ويعني أن هذا النوع له علاقة مباشرة بالعمل، فهو مصاحب له (زمانيا ومكانيا) أو هو " كل خطاب مادي يأخذ موقعه داخل فضاء الكتاب مثل العنوان أو التمهيد ويكون أحيانا مدرجا بين فجوات النص، مثل عناوين الفصول وبعض الإشارات". نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيد المعاصرة، دار توبقال للنشر، المغرب، 1997، ص.26. إن هذا النوع يرتبط بالكتاب فهو يصاحب بالنص- المتن، ويساعد على فهمه وتأويله ويساهم في توجيه القارئ أثناء القراءة.

2- النص الموازي الخارجي: ويقصد به كل نص سوى النوع الأول، ويكون بينه وبين الكتاب بعد فضائي وأحيانا زمني، ويحمل صبغة إعلامية مثل الاستجابات والمذكرات والشهادات والإعلانات. ويسمى بالنص المحيط أو النص الفوقي أو النص الموازي الخارجي Epitexte: تعني السابقة Epi "على" (فوق) في الأصل اليوناني"، ويعني أن هذا النوع له وجود خارج الكتاب، ولكن تجمع به علاقة غير مباشرة. فهو "يكتب بمنأى عن النص، وإن كان جزءا من رؤية كاتبه، ومتصل بعوامله اتصالا وثيقا". فهذا

النوع يتعلق بكل ما له صلة بالكتاب من الخارج، كنقده وتقديم قراءة فيه، وضابطه أنه متأخر زمنياً عن الكتاب، أي النص الأساس أو المتن.

فهذان النوعان للنص الموازي يحيطان بالنص المركزي الرئيسي وهو النص الإبداعي ويساعدان على فهمه وتفسيره واستيعابه وتأويله .

الدرس الثالث : الخطاب الموازي في النقد العربي المعاصر وإشكالية الترجمة

منذ أن نظر جنيت للمصطلح، وعرض مفهومه، ما يزال يتأرجح اصطلاحاً عند الاشتغال النقدي لدى ترجمته وتلقيه في المنظومة النقدية العربية، إذ لم تعرف ترجمته الاستقرار، ورغم الاتفاق الحاصل بين النقاد والمشتغلين في مجال تحليل الخطاب بخصوص المفهوم بوصفه استراتيجية قرائية، خاصة إذا كان المصطلح يحيل إلى إجراء نقدي، ولكن مبعث الخلاف يكمن عند البحث عن التسمية أو المقابل الترجمي الذي يستوعب المفهوم في حركته التحليلية، فتباين التسمية سينحرف بنا نحوى الفوضى المصطلحية.

إن للمصطلح الفرنسي Paratexte ترجمات عديدة يمكن الكشف عنها في كتب ومقالات نقاد معاصرين، وجهوا اهتمامهم لنمط من النصوص قد لا يعبأ بأهميتها، فمن المقابلات التي صيغت له نجد (عتبات النص، النصوص المصاحبة، المكملات، النصوص الموازية، سياجات النص، المحيط النصي، المناص...)، "وهي أسماء عديدة لحقل معرفي واحد أخذ يسترعي اهتمام الباحثين والدارسين في غمرة الثورة النصية التي تعتبر إحدى أهم سمات تحولات الخطاب الأدبي بشكل خاص، والخطابات المعرفية التي تقتسم معه إشكاليات القراءة والتفاعل والإقناع والتواصل بشكل عام". عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص21.

إن التعدد في وضع المقابلات الترجمية للمصطلح مرده ذلك التحصيل المتنوع لجملة المعاني التي تحيل إليها كلمة (para) بين مواز، وشبيه، ومماثل، ومحيط، ومحاذ، ومصاحب... إلخ، فانسحبت هذه الدلالات على الصياغة المصطلحية عند فعل الترجمة، ولذلك وجدنا بعض هذه الترجمات عند عدد من النقاد المعاصرين دائرة بين الاتفاق والاختلاف.

إن الاهتمام الحقيقي بالنص الموازي جاء مع النقاد الذين استفادوا من الإسهامات الغربية، لكن الملاحظ هو اختلافهم في ترجمة مصطلح paratexte كما جاء عند جيرار جينيت، فكل باحث يترجمه حسب رؤيته الشخصية، وحسب نوع الترجمة التي يعتمدها، حيث هناك من يترجم المصطلح حرفياً، وهناك من يترجم معنى المصطلح ويعتمد "روح السياق الذي وظف فيه في اللغة الأصلية".

قد أثار مصطلح Le Paratexte اضطراباً في الترجمة بين المشرق والمغرب لاعتقاد النقاد المترجمين على الترجمة الحرفية للكلمة الفرنسية، فمنهم من أسماه بالمناسبات أو بالمناس كالنقاد سعيد يقطين، ومنهم من أسماه النص الموازي كمحمد بنيس، أو المحيط الخارجي كفريد الزاهي، أو الموازي النصي كالباحث التونسي محمد الهادي المطوي، أو النصية الموازية كالمختار حسني، أو الملحقات النصية كالنقاد السوري محمد خير البقاعي .

ويعرفه سعيد يقطين بأنه عبارة عن تلك "البنية النصية التي تشترك وبنية نصية أصلية في مقام وسياق معينين، وتجاورها محافظة على بنيتها كاملة ومستقلة، وهذه البنية النصية قد تكون شعراً أو نثراً، وقد تنتمي إلى خطابات عديدة، كما أنها قد تأتي هامشاً أو تعليقا على مقطع سردي أو حوار وما شابه." (24).

ويقول أيضا: " تحدثنا هنا عن المناسبات الداخلية والخارجية بإشارات سريعة، وكنت قد سميتها " المناسبات "، وفككت إدغامها لتشخيص التمايز بين المصدر واسم الفاعل على الرغم من أنني كنت أعني أنه لا يجوز فك الإدغام، ونبهني الأستاذ أحمد الإدريسي مشكورا إلى عدم الجواز لما عدت إلى كتاب. "علم الصرف لفخر الدين قباوة" تبين لي أن صيغة (فاعل) تأتي لإفادة الاشتراك والجوار بين النصين، وأن مصدر ناص، وهو مناص، وأن اسم الفاعل عنها هو مناص، فوجب التنبيه والشكر للأستاذ الإدريسي". سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، ط2، 2001، الدار البيضاء، المغرب، ص102.

ويؤكد عبد العالي بوطيب على أهمية النصوص الموازية مشيراً إلى " الدور التواصلي الهام الذي تلعبه في توجيه القراءة، ورسم خطوطها الكبرى" ..

ويعرفه محمد بنيس بأنه تلك "العناصر الموجودة على حدود النص، داخله وخارجه في آن، تتصل به اتصالاً يجعلها تتداخل معه إلى حد تبلغ فيه درجة من تعيين استقلاليتها، وتتفصل عنه انفصالاً يسمح للداخل النصي، كبنية وبناء، أن يشتغل وينتج دلاليته". محمد بنيس: التقليدية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1989م.

ويعرفه عبد الرحيم العلام بأنه "مجموعة من العناصر (éléments) الموازية والمحيطية بالنص. ومن ثم فهي موازيات نصية".، وتشمل كما يذكر الباحث (اسم المؤلف، العنوان، العنوان الفرعي، الميثاق، اسم السلسلة، اسم الناشر، تاريخ النشر، المقدمة، التذييل، كلمة الغلاف، الاستجاب، الحوار، الإهداء...). عبد الرحيم العلام، (الخطاب المقدماتي في الرواية المغربية)، علامات مغربية- العدد8، 1997، ص 17 .

ويترجم فريد الزاهي مصطلح (Le paratexte) بالمحيط الخارجي أو محيط النص الخارجي. (فؤاد الزاهي: الحكاية والمتخيل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1/1991، ص 85)، أما عبد العالي بوطيب، فيستعمل المناص على غرار ترجمة سعيد يقطين). عبد العالي بوطيب، (برج السعود- وإشكالية العلاقة بين الروائي والتاريخي) المناهل-مغربية- العدد55/السنة22، يونيو 1997، ص63. ولكن عبد الفتاح الحجمري يختار (النص الموازي) مثل محمد بنيس(عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص: البنية والدلالة، شركة الرابطة، الدار البيضاء، ط1/1996، ص 9)، ويستعمل عبد الرحيم العلام مصطلح (الموازيات).

والملاحظ أن النقاد المغاربة لهم قدم سبق في مجال النص الموازي والمتعاليات النصية بصفة عامة، بينما نجد قلة من الشرق العربي قد اهتمت اهتماماً واضحاً بالموضوع. ولعل السبب في هذا الأمر يعود للغة الأصلية لمبحث النص الموازي والمتعاليات النصية، فهي الفرنسية التي يتقنها المغاربة والجزائريون، عكس الشرق العربي الذي يقدم الإنجليزية على الفرنسية.

الدرس الرابع : مفهوم الخطاب الموازي في التراث العربي

إن البحث في العتبات والنص الموازي قديم العهد ، حيث ارتبط بظهور الكتاب ونشره وتوزيعه . لذا، نجد مجموعة من الكتب التراثية العربية قد اهتمت بالعتبات، ككتب النقد والبلاغة وعلوم القرآن، ككتاب : " الإتيان في علوم القرآن " للسيوطي، وكتاب: "البرهان في علوم القرآن" للزركشي، وكتاب: " الخواطر السوانح في أسرار الفواتح"، و " تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر"، و"إعجاز القرآن" لابن أبي أصيبع... واللائحة طويلة من المصنفات والمؤلفات التراثية التي تناولت العتبات الموازية بالشرح والدرس والمعالجة...

في مقابل ذلك يشير محمد بنيس على أن الشعرية اليونانية الأرسطية، والشعرية العربية لم تهتما "بقراءة ما يحيط بالنص من عناصر أو بنيتها أو وظيفتها". محمد بنيس، التقليدية، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1989، ص77، عن جميل حمداوي،

إلا أن هناك من يفند هذا الرأي بحجة أن العرب بدأوا منذ عصر التدوين بتحديد مجموعة من الضوابط في الكتابة، وقواعد التأليف والتصنيف بشكل تطبيقي، ثم أصبحت بعض المؤلفات تُنظر لهذه الضوابط في القرن الثالث والرابع، مع طائفة من الكتاب، كالجاحظ وابن قتيبة والصولي، الذين تعرضوا لمجموعة من القضايا التي ترتبط بالنصوص الموازية من قريب أو من بعيد. فالصولي مثلاً ركز كثيراً في كتابه "أدب الكاتب" على العنونة وفضاء الكتابة، وأدوات التحبير والترقيش، وكيفية التصدير، والتقديم والتختيم. (جميل حمداوي، لماذا النص الموازي).

كما عرف العرب في العصر الحديث عملية تحقيق التراث العربي ، وذلك شكل من أشكال العناية بالنص الموازي وأنواعه حيث حققوا اسم المؤلف، وعنوان الكتاب، ونسبة الكتاب لصاحبه، بالإضافة إلى اهتمامهم بمكملات التحقيق، كالتقديم ووصف المخطوط،

والإخراج الطباعي، والفهارس، والاستدراكات، والحواشي والتذييلات. وهذه الأمور لها ارتباط وثيق بالنص الموازي.

الدرس الخامس: العنونة ضمن فضاء الخطاب الموازي

العنوان هو مفتاح تقني يجس به الناقد نبض النص، ويستكشف ترسباته البنيوية وتضاريسه التركيبية، وذلك على المستويين: الدلالي و الرمزي. إن العنوان يعتبر مفتاحا إجرائيا في التعامل مع النص في بعده: الدلالي والرمزي .

أظهرت المناهج النقدية المحايثة للنص الموازي، أهمية العنوان في دراسة النص الأدبي، وذلك نظرا للوظائف الأساسية المرجعية والإفهامية و التناسية التي تربطه بالنص و بالقارئ .

العنوان هو أول عتبة يطؤها الناقد لدى استنطاقه للنص ، حيث يقوم باستقراءها بصريا ولسانيا، أفقيا و عموديا .

ولقد أحس جيرار جنيت (G.Genette) بصعوبة كبيرة، حينما أراد تعريف العنوان، نظرا لتركيبته المعقدة ، يقول جيرار جنيت: "ربما كان التعريف نفسه للعنوان يطرح أكثر من أي عنصر آخر للنص الموازي، بعض القضايا، ويتطلب مجهودا في التحليل، ذلك أن الجهاز العنواني، كما نعرفه Genette:Seuils, Editions " .
Seuils, COLL. Poétique. Paris, 1987.P :54

إن العنوان هو الذي يسم النص، ويعينه ، ويعلن مشروعيته القرائية، وهو الذي يحقق للنص انسجامه ، ويزيل عنه كل غموض وإبهام.

-العنوان من عتبات النص الموازي:

يعد العنوان من أهم العناصر التي يستند إليها النص الموازي(Paratexte)، وهو بمثابة عتبة تحيط بالنص، إن النص الموازي هو دراسة للعتبات المحيطة بالنص. ويقصد بهذه العتبات المداخل التي تجعل المتلقي يمسك بالخيط الأولية والأساسية للعمل المعروف، وهو الفضاء الذي نلج عبره إلى عوالم النص.

والعنوان له مكوناته الشعرية وخصائصه البنيوية: وتتجه العديد من الدراسات اليوم إلى دراسة النصوص الإبداعية على ضوء العنوان، وذلك ضمن مقاربة نصية منهجية تسمى بـ: "المقاربة العنوانية" /Approche Titrologique؛ لأن العنوان قادر بمفرده أن يقوم بتفكيك النص على مستوى بنياته الصغرى و الكبرى، وذلك بغية إعادة تركيبه من جديد : نحو، ودلالة، وتداولاً.

إن العنوان هو الموضوع العام، بينما الخطاب النصي يشكل أجزاء العنوان، حيث إن العنوان في النص يرد باعتباره فكرة عامة أو دلالة محورية أو بمثابة نص كلي. و هو علامة سيميوطيقية تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص ، كما تؤدي وظيفة تناصية، ولاسيما إذا كان العنوان يحيل على نص خارجي .

اهتمت مجموعة من الدراسات بالعنونة في الغرب، ومنها دراسة هلين (M.Hélin)الكتب وعناوينها"، سنة 1956م ، ودراسة تيودور أدورنو "Adorno: العناوين" 1962م ، ودراسة كريستيان مونسولي "Moncelet Christian بحث حول العنوان في الأدب والفنون" سنة 1972م ، ودراسة ليو هويك "Leo Hoek من أجل دراسة سيميائية للعنوان"، وذلك سنة 1973م ؛ ودراسة شارل كريفييل " C.Grivel إنتاج الفائدة الروائية" سنة 1973م.

ويعد كلود دوشيه (Claude Duchet) من الدارسين الغربيين الأوائل الذين اهتموا بالبحث في مجال العنوان تنظيراً وتصوراً.. .

ويبقى جيرار جنيت (G.Genette) (من كبار المنظرين الغربيين الذين أولوا عناية كبيرة للعنونة، ولاسيما في كتابه " العتبات" / Seuil ، والذي نشره سنة 1987م . ويعتبر جنيت العنوان نصاً موازياً يندرج ضمن النص المحيط. ومن ثم، فالنص الموازي لديه هو: " ما يصنع به النص من نفسه كتاباً، ويقترح ذاته بهذه الصفة على قرائه، وعموماً على الجمهور. أي: ما يحيط بالكتاب من سياق أولي، و عتبات بصرية و لغوية. "

أما رولان بارت (R.Barthes) فيرى بأن العناوين عبارة عن أنظمة دلالية سيميولوجية، تحمل في طياتها قيما أخلاقية واجتماعية وإيديولوجية. وفي هذا الإطار، يقول بارت "(Barthes): يبدو اللباس، والسيارة، والطبق المهياً، والإيماءة، والفيلم، والموسيقى، والصور الإشهارية، والأثاث، وعنوان الجريدة ... أشياء متنافرة جداً. إذًا، تعد العناوين بمثابة رسائل مشفرة، مضمنة بعلامات دالة ومعبرة، ومشبعة برؤى للعالم، يغلب عليها الطابع الإيحائي. لذا، فعلى السيميولوجيا أن تدرس العناوين الإيحائية الدالة قصد فهم الدلالات التي تزخر بها.

-أقسام العنوان:

العنوان الخارجي: وهو يتمظهر على صفحة الغلاف الأمامي للكتاب أو العمل أو المؤلف، مشعباً بتسمية بارزة خطأ وكتابة وتلوينا ودلالة، سواء أكانت هذه الدلالة حرفية تعيينية أم مجازية قائمة على التضمين والإيحاء. وغالبا ما يكون هذا العنوان مجاوراً لعتبة المؤلف، وبجانبه العنوان الأيقوني البصري في شكل لوحة تشكيلية أو صورة مشهدية أو أيقونة سيميائية قائمة على الترميز والتدليل .

وظائف العنوان الخارجي : التسمية والتعيين و الوصف والشرح، ووظيفة الإغراء والإغواء، والوظيفة الإشهارية، وذلك بجذب فضول المتلقي لشراء العمل، والإقبال عليه قراءة وإنتاجاً، والوظيفة الدلالية التي تتمثل في أن العنوان يلخص مضمون النص أو العمل المعروف بشكل موسع أو مختزل.

إن العنوان كما هو معلوم عبارة عن رسالة، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل و المرسل إليه، فيساهمان في التواصل المعرفي و الجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية، يفككها المتلقي، ويؤولها بلغته الواصفة، وهذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعرية أو الجمالية ترسل عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال.

العنوان التجنيسي: والذي يحدد جنس العمل الأدبي بمجموعة من التوصيفات النقدية التي تندرج ضمن نظرية الأدب، مثل: شعر، رواية، نقد، قصة قصيرة، رحلة... إلخ.

وحيثما ندخل إلى أغوار العمل، يمكن الحديث عن عناوين أخرى كالعنوان الأساس الذي يكون على رأس قصيدة شعرية أو فصل من الرواية أو مشهد مسرحي أو قسم من الدراسة النقدية... العنوان الداخلي: و هو يرد في شكل عناوين داخلية تتخلل العمل.

الدرس السادس: آلية المقاربة السيميائية للعنوان

حينما نريد مقارنة العنوان، لابد من الالتزام بالخطوات التالية :

وهي: 1- معاينة البنية، والدلالة : وتستوجب البنية قراءة العنوان صوتيا وإيقاعيا وتنغيميا وصرفيا وتركيبيا وبلاغيا وأيقونيا .

أما الدلالة فتختص بدراسة العنوان على ضوء علاقته بالنص، مع التساؤل عن طبيعة هذه العلاقة.

2-تحديد وظائف العنوان :ينبغي تحديد مجمل الوظائف السياقية التي يؤديها العنوان داخل النص (الوظيفة الانفعالية، والوظيفة التأثيرية، والوظيفة الشعرية، والوظيفة التناسية، والوظيفة التعيينية، والوظيفة البصرية،...

وعلى هذا الاساس فإن العنوان ليس عنصرا زائدا ،. وينطبق هذا الحكم أيضا على كل العتبات المجاورة للنص، من إهداء، واستهلال، وتقديم، واقتباس، وفهرسة، وهوامش، وصور، وحيثيات النشر... فالنص الموازي هو عنصر ضروري في تشكيل الدلالة، وإثراء المعنى. ومن هنا، فمن الضروري دراسة العتبات، وتفكيك المصاحبات المناسية، واستكشاف الدوال الرمزية، وإيضاح الخارج، قصد إضاءة الداخل.

فضلا على ذلك، فإن عناوين النصوص والخطابات والكتب واللوحات والأعمال الفنية ذات وظائف رمزية مشفرة، ومسننة بنظام علاماتي دال على عالم من الإحالات الغنية والثرية. ومن ثم، تشكل العناوين كلها مجموعة رمزية، و التي تبرز ميزتها الاصطلاحية حينما يحاول المرء ترجمتها من لغة إلى أخرى أو من ثقافة إلى أخرى .

